**السداسي: السادس**

**المادة: النقد النفساني**

**محاضرات في النقد النفساني للسنة الثالثة ليسانس**

**مدخل**

المنهج النفسي هو منهج يقوم على دراسة الأعمال الأدبية لمعرفة الأنماط الأدبية والنماذج النفسية الموجودة فيها، والربط بين الشخصيات الموجودة في الأعمال الأدبية وبين شخصية الأديب، فقد يقوم الأديب بإسقاط شخصيته على شخصية من شخصيات قصّته أو روايته. وبالعودة لأصول المنهج النفسي نجده يمتد للعصور القديمة منذ أفلاطون الذي أشار إلى الأثر الذي تتركه المشاعر والعواطف في حياة الإنسان ولذلك نجده يدعو إلى طرد الشعراء من مدينته الفاضلة

أما النقاد العرب القدامى فقد أولو الحديث عن النفس أهمية كبيرة، فهذا ابن قتيبة الخبير بأحوال النفس قد حدّد الوقت المناسب لقول الشعر حيث لاحظ أنّ معظم الشعراء ينظمّون الشعر في اوّل الليل والخلوة وصدر النهار وفي حالات المرض والحزن، كم قام القاضي الجرجاني بدراسة الملكة الشعرية وحاول فهم خفاياها، فالشعر عنده دال على نفسية الشاعر وطبائعه فالشعر السلس النفس السّمحة، أما من كان شعره فضا يعكس شخصيته ناظمه.

وإذا سرنا في النقد العربي فسنجد أن ابن طباطبا قد تحدث عن المنهج النفسي، ويقول بأنّ القارئ إن ارتاح إلى النص فهذا يعني أنّ نفسية كاتبه هادئة مريحة وعلى الرغم من عدم وجود منهج المعالم النظرية والإجراءات التطبيقية إلا أنّ النقاد العرب تحدّثوا عن صلة النص الأدبي بنفسية مؤلفه.

ظهر المنهج النفسي في القرن التاسع عشر مع ظهور علم النفس وظهور رائده سيغموند فرويد، حيث قال فرويد أن العمل الأدبي له هدف وغاية سعى الأديب لإيصالها من خلاله، فقد يعبّر الأديب في أدبه عن رغبات مكبوتة لا يستطيع إشباعها في الواقع، فيقوم بإسقاطها على شخصيات عمله، لذلك رأى فرويد أنّ دراسة شخصيات القصّة ستدلّ على حالة الكاتب الشخصية ورغباته المكبوتة، ويرى فرويد أن مرحلة الطفولة تلعب دورا في حياة الأديب، فإن عانى من رغبات مكبوتة فإنها ستظهر بشكل جلي في أدبه ووافق يونغ تلميذ فرويد أستاذه في بعض الجوانب لكنه رفض مغالاته في حصره الإبداع الفني تحت إطار العقد النفسية أما أدلر فخالف فرويد في أفكاره وقال بأن التعلّق بالحركة لإثبات الذات هي الدافع الأساسي والمحرّك الرئيسي للإبداع في النفس البشرية.

محاضرة 1

يعود المنهج النفسي بتاريخه إلى العهود القديمة، حيث نجد أن أفلاطون قد تحدث عن هذا المنهج، فقد وجد أن العواطف تأثر على الإنسان بشكل كبير، ولأن الشعر يحرك عواطف الإنسان فقام بطرد الشعراء من مدينته الفاضلة

أما في حال عدنا إلى عصر ازدهار الثقافة العربية فسنجد أن للعرب قد تحدثوا بشكل كبير عن هذا المنهج وأول من تحدث هو ابن قتيبة، ولقد كان ذا خبرة بأحوال النفس فحدد الوقت المناسب لقول الشعر، حيث وجد أن معظم الشعراء ينظمون شعرهم في أول الليل، الخلوة، المسير، صدر النهار، وفي الأمراض والعلل

ولم يكن ابن قتيبة الوحيد في هذا المجال فهذا القاضي الجرجاني فقام بتحليل الملكة الشعرية، وقال بأن الشعر يدل على نفسية وطباع الشاعر، فمن كان شعره سلسا وسهلا فإن نفسه سمحة، ومن كان شعره فظا فأن شخصيته فظة، ومن كان شعره رقيقا فهذا يدل على رقة مشاعره

وإذا سرنا في النقد العربي فسنجد أن ابن طباطبا قد تحدث عن المنهج النفسي، ويقول بأن القارئ إن ارتاح إلى النص فهذا يعني أن نفسية كاتبه مريحة

وعلى الرغم من عدم وجود منهج واضح في الأدب العربي إلا أن النقاد العرب تحدثوا عن المنهج النفسي في أماكن متفرقة من كتبهم

أما المنهج النفسي عند الغرب فلم يظهر إلا في القرن التاسع عشر مع ظهور علم النفس وظهور رائده سيغموند فرويد، حيث قال فرويد أن العمل الأدبي له هدف وغاية سعى الأديب لإيصالها من خلاله، فقد يعبر الأديب في أدبه عن رغبات مكبوتة لا يستطيع إشباعها في الواقع، فيقوم بإسقاطها على شخصيات عمله، لذلك رأى فرويد أن دراسة شخصية القصة ستدل على حالة الكاتب الشخصية ورغباته المكبوتة، ويرى فرويد أن مرحلة الطفولة تلعب دورا في حياة الأديب، فإن عانى من رغبات مكبوتة فإنها ستظهر بشكل جلي في أدبه

ووافق يونغ تلميذ فرويد أستاذه في بعض الجوانب لكنه رفض مغالاته في حصره الإبداع الفني تحت إطار العقد النفسية

أما أدلر فخالف فرويد في أفكاره وقال بأن التعلق بالحركة لإثبات الذات هي الدافع الأساسي والمحرك الرئيسي للإبداع في النفس البشرية

تعريفه:

هـو المنهج الذي يستمد آلياته النـقدية مــن نظــرية التحليل النفـــسي التي أسسها الطبيب النـمساوي سيغموند فرويد فسر على ضوئها السلوك البشــري برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور)1

إن منطقة اللاشعـور هي خزان لمجموعة مــن الرغبات المكـبوتة التي أن تشبع بكيفيات مختلفة فقد نحلم بهذه الرغبات في أحلام يقظة أو نوم، ونقد نجسدها من مجموعة من الأعمال الإبداعية ( شعر ، رسم موسيقى ، ...)

مبادئ المنهج النفسي

يقوم المنهج النفسي على مجموعة من المبادئ أهمها:

- النص الأدبي مرتبط بلاشعور صاحبه

-وجود بنية نفسية متجذرة في لاوعي المبدع تتجلى بشكل رمزي على سطح النص ، وأثناء تحليل لابد من استحضار هذه البنية

-يعتبر رواد المنهج النفسي الشخصيات الموجودة في الأعمال الأدبية شخصيات حقيقية لأنها تعبر عن رغبات ووقائع حقيقية مكبوتة في لاشعور المبدع

الأديب شخص عصابي يحاول أن يعرض رغباته في شكل رمزي مقبول اجتماعيا

*محاضرة 2*

النقد النفسي والأدب

إن العلاقة بين علم النفس والأدب لا تحتاج إلى جهد كبير وبحث طويل لإثباتها ويغني عن كل هذا استحضار حقيقة الإبداع الأدبي من حيث المنشأ والتّشكّل والتلقي والالتفات إلى أثر الفنون عامة والأدبية خاصة في الحياة كيف من شأنها أن تداوي الروح والنفس وتكون سندا قويا لعلم النفس في مواجهة أزمات الذات البشرية.

الأدب في جوهره حديث النفس وبوح الوجدان ورسالة الروح بلغة في أصلها رموز لخوالج النفس الأدب بطبيعته فعالية نفسية ونشاط وجداني باعثة نفسية وتشكّله نفسي مسلكه إلى المتلقي هو الحس والغريزة والوجدان وكلها تمثّل المكوّنات الأساسية لمفهوم النفس.

ميّز الباحثون حين الحديث عن علاقة علم النفس والأدب بين طورين اثنين:

الأول: تمّ الاهتمام فيه برصد العلاقة بين الأدب وعلم النفس والتحليل النفسي لدارس الظاهرة الأدبية وتجلياتها النّصية.

الثاني: تمت فيه بلورة تصوّرات نقدية مستمدة من علم النفس والتحليل النفسي لدراسة الظاهرة الأدبية وتجلياتها النصيّة.

امتدت العلاقة بين المنهج النفسي والنقد الأدبي عبر العصور حيث تعود لأفلاطون في محاوراته وآرائه حول الشعراء وأثرهم على منظومة القيم والحياة، ولا ننسى أرسطو ونظرية التطهير حيث ارتبط الأدب بوظائفه النفسية[[1]](#footnote-1)

إن علاقة الإبداع بالنفس البشرية قديمة قدم الوجود الإنساني ذاته، لكن العلاقة بين الأدب ونقده لم تتبدّى بشكل واضح وصريح إلا بعد الثورة العلمية والمنهجية التي جاءت بتأسيس مدرسة التحليل النفسي مع سيغموند فرويد وتلامذته من بعده كارل جوستاف يونغ وألفرد آدلر بصورة خاصة، حيث كان من مبادئ مدرسته الأساسية إخضاع كل الأحداث والظواهر للتحليل النفسي "حيث طبّق نظرياته على كثير من الأعمال الأدبية والفنية وفي ذلك تحليله للوحات ليوناردو دوتويفسكي من خلال روايته الإخوة كارامازوف، إضافة إلى أعمال سيكو-أدبية والتي كانت تأكيدا أخرى والمنهج تارة أخرى"[[2]](#footnote-2)

مجالات النقد النفسي

يركز المنهج النفسي في دراسته للأعمال الإبداعية على الجوانب مختلفة نذكر منها

-عملية الإبداع الفني

إن العنصر النفسي أصل مــن أصول العـمل الأدبي، أي أنه تجــربة شعورية تستجيب لمؤثرات نفسية، والسؤال المطروح كيف تتم عملية الإبداع الفني والأدبي؟

يرى فرويد أن العمل الأدبي يمكن النظر إليه من خلال علاقته بأنشطة بشرية ثلاثة: اللعب ، التخيل والحلم . فالإنسان يلعب طفلا ويتخيل مراهقا ويحلم أحلام يقظة أو نوم وهو في كل هذه الحالات يشكل عالما خاصا به ، وما أشبه المبدع بالطفل الذي يلعب عندما يصنع عالما من خيال يصلح فيه من شأن الواقع

والإبداع شبيه بالتخيل، لأن التخيل عند المراهق يعادل اللعب عند الطفل

والإبداع شبيه بالحلم من حيث أنه انفلات من الرقابة، ومن حيث أن الصور فيه رمزية لها ظاهر وباطن

وقد ركز فرويد على هذا الجانب تحديدا – ارتباط الأدب بالحلم-لأن كلا منهما يمثل انفلاتا من الرقابة وهروبا من الواقع.

ولذلك قسم فرويد النفس البشرية إلى مناطق ثلاثة:

أ-الأنا : وهو الجانب الظاهــر مــن الشخصية وهـذا الجانب يتأثر بعالم الواقــع مــن ناحية وبعالــم اللاشعور من ناحية أخرى ، وهو يميل أن تكون تصرفاته في حدود المبادئ الخــلقية التي يقــــــرها الواقع

ب- الأنا العليا : وتتكون منذ الطفولة فالطفل يزن الأمور حسب نظرة والده، فالطفل يعجب بوالده الذي يجمع بين القوة والعطف وقد لخص الدكتور عبد العزيز القوصي صفات هذه المنطقة بقوله : ً إنها النقد الأعلى الذي يشعر الأنا بالخطيئةً وهذا يعني أن هذه المنطقة تراقب الأنا ولا دخل لها بعملية الإبداع الفني

ج- الهو أو الهي : يرى فرويد أن هذا الجانب من أهم الجوانب في حياة الإنسان، ومن صفاته

-إنه لا يتجه وفق المبادئ الخلقية

-إنه جانب لاشعوري

-يسير على مبدأ تحقيق اللذة والألم

-لا يتقيد بقيود منطقية

-من مركباته النزعات الفطرية والوراثية ، وأهمها النزعة الجنسية

ولذلك اعتمد فرويد مجموعة من العقد أهمها الغريزة الجنسية ومن أبرز هذه العقد

-عقدة أوديب : ميل الذكر إلى أمه جنسيا

-عقدة الكترا: وهي عكس العقدة السابقة ، أي ميل البنت إلى والدها جنسيا

-العقدة النرجسية : حب المرء نفسه جنسيا

-عقدة الخصاء : وهي خوف المرء خوفا لا شعوريا من فقدانه أعضاءه التناسلية عقابا له على إتيانه أفعالا محرمة

فالإنسان حسب فرويد إنسان غير سوي تسره الغريزة الجنسية، وما يظهر من مظاهر الحماسة إشارة إلى هـذه الغـريزة ورمز لها

- النص وسيرة المؤلف

وفي هذا التطبيق يفسر النص من خلال حياة مؤلفه، في المقابل استنباط حياة المؤلف من خلال نصوصه أي اتخاذ النص وثيقة تعين على سبر أغوار الكاتب النفسية

ويحاول الناقد التقاط ما أمكنه من جزئيات السرية الذاتية للمؤلف: طفولته، نشأته، وظروف حياته، ومسودات كتبه واعترافاته، وكل ما من شأنه أن يساعد على تحليل نفسية الكاتب.

محاضرة 3/

النص والمتلقي

وهنا يعنى الناقد بعلاقة العمل الأدبي بالآخرين، وتأثرهم به مجيبا بذلك على سؤال تردد طرحه كثيرا هو: لماذا يستثيرنا الأدب ؟

فأجاب البعض قائلا: إنه يستثيرنا لأنه يقدم في شكل رمزي، فنحن نعيش تجاربنا السابقة مع هذا النص

وهنا يكون التركيز على المتلقي ومدى استجابته نفسيا لهذا العمل الأدبي

عيوب المنهج النفسي:

يعامل المنهج النفسي الأدب الجيد بنفس معاملة الأدب الرديء، وذلك بسبب نظرته للأدب على أنه وثيقة نفسية فقط لا غير، تعبر عن رغبات الشاعر أو الكاتب المكبوتة

يعتمد المنهج على الفرضيات والكشوفات التي يقوم باكتشافها علم النفس، دون الأخذ بعين الاعتبار أن هذه النظريات قد تكون خاطئة أو لا يمكن تطبيقها على الأديب

من خلال المنهج النفسي يظهر الأدب وكأنه تعبير عن الحالات الشاذة والرغبات المكبوتة وهذا الأمر غير صحيح

المنهج النفسي

يرى مؤرخو النقد أن النقد النفسي يبدأ في بداية القرن العشرين مع ظهور علم النفس التحليلي على يد فرويد، وما أثاره أتباع يونج في الحديث عن الأسطورة والرمز، وبهذا يكون فرويد ويونج، وإدلر وراء دراسات كثيرة تناولت الأدب، ولاسيما الشعر منه بيد أن تاريخ النقد النفسي أبعد من ذلك بكثير، فهو موغل بالقدم؛ ولهذا نرى أن ستانلي هايمن يقرر أن النقد بعامة كان نفسيا في جملته، وأن أرسطو يعد أبا شرعيا للنقد النفسي، ويبدو أن ستانلي يشير إلى ما قرره أرسطو من علاقة بين الأدب والنفس الإنسانية عندما رأى أن المسرحية (المأساة) وظيفة نفسية سماها (التطهير) وقصد به أن مشاهدة المأساة تثير عند المتلقي عاطفتي الشفقة والخوف، ومن ثم يتخلص منهما أو يتطهر، ويحل الاعتدال والاتزان محل الإسراف والحدة في عواطفه وانفعالاته.

لكن هذا النقد لم يصبح اتجاها إلا بعد أن ظهرت نتائج دراسات الفرويدين للغة والباطن، وكذلك بعد أن أفاض أتباع يونج في الحديث عن الأسطورة والرمز

ويعد الناقد الفرنسي سانت بيف من الممهدين لظهور المنهج الفرنسي، وذلك لأنه ربط بين حياة الأديب، وشخصيته، ونتاجه وذهب إلى أننا إذا استطعنا أن نكتسب معرفة بحياة الأديب والمؤثرات الرئيسة فيه أمكننا أن نصل إلى فهم صحيح لآثاره الأدبية

ويرى ويلبير سكوت في مناقشة للاتجاه النفسي في نقد عن أصل التسمية، فيجعله النقد المعتمد على التحليل النفساني، ويقرر أنه بدأ بعد ترجمة كتاب فرويد ((تفسير الأحلام)) سنة 1912 م إلى الانجليزية، ويشير سكوت إلى شيئين عملا على دعم هذا الاتجاه الأول: ما كشفت عنه الطبيعة من علل رصدها الأدب، والثاني اتساع رقعة الخيال، وانفراط الرمزية والسريالية عن المذهب الرومانسي، فتعقدت الحيوات المثيرة للانفعال والمفعمة بالأحلام والقائمة على تداعي الأفكار، وازدحام الأعماق أو الأخيلة بالأنماط العليا، والأشكال الأسطورية المختلفة هذا، وقد سلك الفرويديون في دراستهم مسلكين: أما الأول فهو استخدام العمل الفني وثيقة نفسية لدراسة شخصية الفنان وفهمها، وما فيها من عقد وأمراض، وأما الثاني فهو اتخاذ شخصية الفنان أو نفسيته وسيلة، أو أداة لفهم العمل الفني وتفسيره، ومن الواضح أن النظرة الأولى لا تهم إلاّ علم النفس أما النظرة الثانية فكثيرا ما كانت ذات نفع جزيل في النقد التفسيري، وخاصة عندما تكون رمزية العمل غامضة أو ملتوية بل إن أعظم ما أسهمت به الفرويدية قد يكون إظهارها لثراء المضامين الرمزية في أعمال متعددة، والمعاني الكامنة الخفية التي انبثقت منها، وقد تمكنت الفرويدية من إظهار ذلك عن طريق كشفها لأصول هذه الرموز في حاجات الفنان ودوافعه النفسية

ولابد من الإشارة أن النقد النفسي قد خطا خطوات نوعية على يد شارل مورون الفرنسي، وهو يؤكد أن التحليلات الفرويدية تحكمها قواعد التشخييص الطبي المفروضة عليه من الخارج في حين يكتشف تحليلا نفسيا أدبيا بادئا من النص، ومنتهيا فيه وإليه وإلى الأبد

وفي أدبنا العربي الحديث تصدى أمين الخولي لتحليل حياة أبي العلاء المعري مستندا إلى المنهج النفسي، ويكتب محمد خلف أحمد (من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده)) وتأتي دراسة مصطفى سويف الموسومة بـ ((الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر)) خاصة في المقدمة وحاول من خلالها الكشف عن أسرار الخلق الفني معتمدا المنهج التجريبي في علم النفس بعامة والمنهج التكاملي بخاصة

المراجع المعتمدة:

1 يوسف وغليسي ، مناهج النقد الأدبي ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ،2007 ص22

2 المرجع نفسه ، ص 22- 23

3 وليد قصاب مناهج النقد الأدبي دار الفكر دمشق ، ط1ن 2007 ، ص 54.

4 محمد صايل حميدان قضايا النقد الأدبي الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن، ط1، ،1991 ص 96.

5 وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي، ص 55.

6 صايل حميدان 97.

7 وليد قصاب 57-58.

محاضرة 4

تجليات المنهج النفسي في الأدب العربي الحديث:

النقد النفسي والأدب

إن العلاقة بين علم النفس والأدب لا تحتاج إلى جهد كبير وبحث طويل لإثباتها ويغني عن كلّ هذا استحضار حقيقة الإبداع الأدبي من حيث المنشأ والتّشكل والتلقي والالتفات إلى أثر الفنون عامة والأدبية في الحياة وكيف من شأنها أن تداوي الروح والنفس وتكون سندا قويا لعلم النفس في مواجهة أزمات الذات البشرية

الأدب في جوهره حديث النفس وبوح الوجدان ورسالة الروح بلغة في أصلها رموز لخوالج النفـــس الأدبي بطبيعته فعالية نفسية وتشكّله نفسي مسلكه إلى المتلقي هو الحس والغريزة والوجدان وكلّها تمثّل المكونات الأساسية لمفهوم النفس

ميّز الباحثون حين الحديث عن علاقة علم النفس والأدب بين طورين اثنين

الأول: تمّ الاهتمام فيه برصد العلاقة بين الأدب وعلم النفس والتحليل النفسي لدرس الظاهرة الأدبية وتجلياتها النصية

الثاني: تمّت فيه بلورة تصوّرت نقدية مستمدّة من علم النفس والتحليل النفسي لدراسة الظاهرة الأدبية وتجلياتها النصية امتدت العلاقة بين المنهج النفسي والنقد الأدبي عبر العصور حيث تعود لأفلاطون في محاوراته وآرائه حول الشعراء وأثرهم على منظومة القيم والحياة، ولا تنسى أرسطو ونظرية حيث ربط الأدب بوظائفه النفسية

إن علاقة الإبداع بالنفس البشرية قديم قدم الوجود الإنساني ذاته، لكن العلاقة بين الأدب ونقده لم تبدى بشكل واضح وصريح إلا بعد الثورة العلمية والمنهجية التي جاءت بتأسيس مدرسة التحليل النفسي مع سيغموند فرويد وتلامذته من بعده كارل جوستاف يونغ وألفرد آدلر بصورة خاصة، حيث كان من مبادئ مدرسته الأساسية إخضاع كل الأحداث والظواهر للتحليل النفسي حيث طبّق" نظرياته على كثير من الأعمال الأدبية والفنية وفي ذلك نجد تحليله للوحات ليوناردو دافنشي من خلال لوحته الموناليزا كما حلل شخصيته الكاتب الروسي دوستويفسكي من خلال روايته الإخوة كارامازوف إضافة إلى أعمال سيكو أدبية والتي كانت تأكيدا للقرابة الكبرى بين الأدب والنفس، حيث سعى بالمنهج النفساني تارة أخرى"

ذهب تفسير فرويد هذا الحلم بالبطء الذي عرف به الرّسام الإيطالي في إنجاز أعماله مثل: الموناليزا، رؤوس النّساء الضاحكات والقديسة أنّ العظيمة ثمّ ذكر أنّه انحرف جنسيا على مستوى اللاشعور وعدم إكماله عديد أعماله الفنيّة المشهورة

إن الحديث عن النقد النفسي وما قدّمه فرويد في هذا المجال حديث طويل ذو شجون وكان فقط بمثابة التوطئة لولوج تجليات هذا المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث حيث نضج النقد النفسي لدى العرب مع نقد جماعة الديوان، ومن تبعها من الأدباء والنقاد والأكاديميين ولكن للنقد النفسي جذور قديمة في التراث النقدي العربي

بدت ملامح النقد النفسي في التراث النقدي العربي مع النقاد العرب القدامى: فيعدّ ابن قتيبة من أوائل من تلمسّ البواعث النفسية في الشعر بين النقاد، فنراه يطرح العوامل النفسية التي تختفي وراء العمل الأدبي والمنحصرة في إطار الباعث الشعوري كالغضب والطّرب والشّوق والحالات الأخرى ليس أكثر يقول: وللشعر دواع تحثّ البطيء وتبعث المتكلّف، منها الطمع، ومنها الطمع ومنها الشّوق. ومنها الغضب، يكشف ابن قتيبة في تحديد حالات جيشان النفس بالشعر وتدفّقه عن خبرة بأحوال النّفس يصعب على من لم يجربها الوصول إليها.

أما القاضي الجرجاني فيرجع الملكة الشعرية إلى عوامل شتى كالطبع والرؤية والذكاء فاختلاف الشعر يعود لاختلاف طباع الشعراء فلا يكون دمث الخلق إلا سلس الكلام أما الجلف فيكون معقد الخطاب ثقيل اللسان جاف الألفاظ، فاختلاف الطبائع هي معيار الشعر القاضي الجرجاني.

ولعبد القاهر الجرجاني أيضا نظرته في أثر الشّعر على النفس ومن ذلك ربطه بين مزيّة النّص ولطفه وبين ما يتّسم من غموض وبعد عن المباشرة، يبعثان في النّفس دواعي الحنين والرّغبة في نيله، لا شيء إلا تمنعه عن الانكشاف السّهل المباشر، يقول في أسراره: من المركوز في الطبع أن الشوق والاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه وكان نيله أحلى وبالمزية الأولى فكان موقفه من النّفس وكانت به أظن وأنسق[[3]](#footnote-3)

محاضرة5

النقد وعلاقته بصاحب النص والنص الأدبي

من المعروف أنّ أي منهج من المناهج لا بدّ أن يكون له عدّة مبادئ يقوم عليها. وهي التي تثبت صحّة ما يدعيه مخترع هذا المنهج، فالمنهج النفسي كذلك يقوم على عدّة مبادئ مهمة ومفسّرة وهي كالتالي:

من أهم المبادئ التي يقوم عليها المنهج النفسي. أنه هنالك تنشأ بين الأديب الذي يكتب النص الأدبي-وبين ما يكتبه هذا الأديب من أبيات ونصوص أدبية. وأثبتت تلك المبادئ أن تلك العلاقة تعدّ أحد أنواع العلاقات اللاشعورية بينهما. من أكثر المبادئ التي يقوم عليها كذلك المنهج النفسي أنه يوضّح الكيان النفسي للأديب او المبدع. الذي يقوم بكتابة تلك النصوص الأدبية وأن حالة البنية النفسية الأصلية الكامنة في داخله في حالة سيئة والتي تقع في منطقة اللاشعور كذلك من المبادئ التي يقوم عليها المنهج النفسي أنه يحاول أن يعنبر كل الشخصيات التي يمكن أن تتواجد في النص أو الشخصيات لا تعبر. إلا عما يكبته الشاعر من رغبات. أو ما قد يكون مخزونا في نفوس الأديب واقعية يخرجها على هيئة نص أدبي.

يقوم المنهج النفسي كذلك على مبدأ هام وهو محاولة إخراج تلك الشخصيات التي يراها مكبونة بداخل الأديب. بطريقة لا تتنافى مع أسلوب الحياة الاجتماعية التي يعيشها الناس. ما هي العيوب التي يمكن أن يحتوي عليها المنهج النفسي الكثير من العيوب التي أخذت عليه والتي تعتبر طاغية على المميزات التي يتمتع بها هذا المنهج، والتي تهدم الكثير من الصّدق في النظرية التي يعمل بها المنهج النفسي

من أهم تلك العيوب التي تظهر في المنهج النفسي أنه يقوم بمعاملة العمل الأدبي في نظره على أنه حالة نفسية واحدة ولا تتجزّأ إلى العديد من الطبقات. بالرغم من أنه من المعروف أن العمل الأدبي قد قام العديد من العلماء بتقسيمه، ووضحوا أنه يمكن انقسام هذا العمل إلى العديد من المستويات ولكن المنهج النفسي يعامل كل العمل على أنه حالة واحدة لا يمكن تجزئتها أو انشطارها.

وهذا من أكثر العيوب التي أخذت على هذا المنهج. فمن العيوب التي قام النقاد بأخذها على المنهج النفسي أنه قام بمقاربة غير محمودة بين الأعمال الأدبية. حيث أنّ المنهج النفسي قام بالمقاربة بشكل مبالغ فيه في الأعمال من النوع الأدبي. ما بين العالم العربي والعالم الغربي، وهذا التصرّف ليس مستحب في المناهج النفسية. من أكثر النقد الذي تمّ توجيهه إلى المنهج النفسي ومن أكبر العيوب التي أخذت عليه، إنه يقوم بالاهتمام إلى حد كبير بالشخصية التي تكتب النص الأدبي أي الأديب وعلى النقيض فإن هذا المنهج يقوم بالإهمال الجسيم للنص الأدبي الذي كتبه هذا الأديب. ومن المعروف أن النص الأدبي ما هو إلا نموذج بشري يجب على المنهج الاهتمام به كذلك.

العيوب التي يمكن أن يحتوي عليها المنهج النفسي كذلك إنه يعمل على أن يجعل الصورة العامة للأديب سيئة. حيث أن هذا المنهج النفسي يعمل على التركيز على بعض السلوكيات الخاصة. والتي يقوم بها الأديب في حياته أو يتخلل حالته النفسية من أمور سيئة. وفي تلك الحالة يظهر هذا الجانب الأديب وكأنه يعاني من الكثير من الاضطرابات النفسية أو الأمراض العقلية أو أي شيء آخر، وهذا غير مقبول لدى الكثير من الناس والنقاد يعمل المنهج النفسي كذلك على نسب العمل لأسطورة كانت قد حدثت منذ عقود أو أي خرافات أخرى، في حين أن هذا المنهج لا يعتبر أن ما يقوم به الأديب من عمل يمكن أن يقصد به الحاضر، أو أن يقوم بعلاج مشكلة من المشكلات العصرية التي تواجه الناس أو إلى غير ذلك من الأشياء، من أكثر العيوب التي وضّحها النقاد عند قيامهم بمنهج النقد النفسي، أنه يقوم بتفسير ما يحتوي عليه العمل الأدبي من رموز فنية، يقوم هو بتحويلها عند التفسير إلى تفسيرات تدلّ على الجنس وهذا ما لا يمكن أن يكون مستحبا لدى الكثير من الناس.

محاضرة 6

التفسير النفسي للأدب: عز الدّين إسماعيل

تعتبر هذه المدوّنة من أهم المدونات، باللسان العربي، التي خاضت في العلاقة بين الجانب السيكولوجي للإنسان وبين ما يبدع من لأدب منذ 1960 وقد وجدت أن ما يدخل في حلقة دراستنا في هذا السداسي هو الباب الأول من هذه المدونة تحت عنوان:

الفصل الأول: الحكم والتفسير حيث بين أن هناك اختلافا جريا بين الحكم على النص وبين تصوّر أو وضع آليات لتفسيره...

الفصل الثاني: مشكلة الفنان.

العصاب

النرجسية

العبقرية

الدافع إلى الإبداع

فرض النقد الانطباعي أو الذاتي نفسه طويلا على الفكرة النقدية العربية، خاصة قبل ظهور حركات الانفتاح الفني الحديثة، على مستوى الأدب والنقد معا ولم يجد كثير من النقاد ملاذهم إلا ما تعودوا عليه من لدن الموروث النقدي العربي. بالرغم من عدم امتلاك هذا النقد منهجا واضحا أو نظرة شاملة تستوعب جميع متطلبات العصر والتفكير الحديث وذلك بحكم غياب المنهج والأفق النقدي الواسع والنظرة التي تستوعب كثيرا من متطلبات العصر والتقدم الحضاري وما يشكّله من تنوّع في فنون الأدب ونقده.

ظهرت في النقد العربي مناهج تحمل مميزات وخصائص العلوم الإنسانية في المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي...وبعد هذا الأخير من جملة ما تم تداوله في النقد العربي الحديث.

المحاضرة 7

عوامل نشأة المنهج النفسي لدى النقاد العرب

يذهب الكثير من النقاد إلى أنّ الاندفاع السيكولوجي الذي شهده النقد العربي الحديث يعود إلى جملة من العوامل في مقدّمتها النزعة الرومانسية وما أحدثته من ثورة في الأدب والفن والنظرة إلى الحياة بصفة عامة وقبل الحديث عن أثرها في الخطاب النقدي العربي الحديث لا بدّ من الاستهلال بالتعريف بهذه النزعة ونشأتها وأهم روادها.

الرومانسية كما تعرف باسم الرومانتكية أو الإبداعية هي حركة فنية، أدبية وفكرية نشأت في فرنسا في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر وسرعان ما راجت في بلدان أوروبية أخرى. وبخاصة في إنجلترا وألمانيا وإسبانيا حتى وصلت لذروتها في الفترة ما بين 1840-1800 وقد ظهرت كرد فعل ضدّ الثورة الصناعية كما كانت تعتبر ثورة بقوة في الفنون البصرية، الموسيقى، الأدب كما كان لها تأثير بالغ على التأريخ التعليم العلوم الطبيعية وتأثير كبير ومعقد على السياسة حيث أنه وبذروة الحركة الرومانسية كان هنالك ارتباط وثيق مع الليبرالية والراديكالية وكان تأثيرها واضحا على نمو القومية لدى الشعوب.

تؤكد الرومانسية بأن قوة المشاعر والعواطف والخيال الجامح هو المصدر الحقيقي والأصيل للتجارب الجمالية، مع التركيز على شتى العواطف الإنسانية مثل الخوف والرعب والهلع والألم مما أسهمت في رفع شأن الفنون الشعبية والتقليدية إلى درجة أسمى وجعلت منها فنونا مرغوبة كما في الموسيقى الارتجالية، كما أنها جعلت الخيال الفردي سلطة ناقدة مما أسهم بالتحرر من أفكار المدارس الكلاسيكية والعقلانية المثالية والتي سعت لرفع شأن القرون الوسطى والإخلاص لها من خلال فرض قواعد وقيود على جميع أشكال الفنون لتوحي بأنها فنون قروسطية أصيلة في محاولة منها للهرب من النمو السكاني والزحف العمراني.

ليس من اليسير أن نجد تعريفا جامعا للرومانسية نظرا للاتساع الذي المعني الذي تعبر عنه مختلف من جهة واتساع مجالاتها فقد تجاوزت حدود الأدب لتستوطن مجالات أرحب في مختلف الفنون والحياة بعامة وتقول جيهان صفوت في هذا الصدد: صعوبة الوصول إلى تعريف محدّد للرومانسية يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الحركة الرومانسية ذاتها، فهي حركة أدبية متعددة المظاهر والاتجاهات ولذا فإنه من العبث محاولة صياغة تعريف محدد في عبارة مقتضبة للرومانسية بعامة ومن الأفضل أن نحاول فهم الرومانسية على أنها مذهب أدبي من أخطر ما عرفته الحياة الأدبية من أخطر ما عرفته الحياة الأدبية العالمية، سواء في فلسفته العاطفية و مبادئه الإنسانية أم في آثاره[[4]](#footnote-4)

دخلت الرومانسية للأدب العربي على شكل مذهب نقدي من خلال التأثّر بالرومانسية الغربية، إذ نجد النزعة الذاتية مسيطرة على الأعمال الشعرية التي صنعها الرومانسيون العرب، وأنهم يحتفون بالنفس الإنسانية ويرفعونها إلى مرتبة التّقديس كما يمجدّون الألم الإنساني والذاتي ويلجئون إلى الطبيعة التي تمنحهم صورا تغذي خيالاتهم، فالرومانسية تتبدّى في شكل غامر أحيانا وتشاؤم وسوداوية في أحايين أخرى.

ولعل ما عاشه الجيل العربي أثناء الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها وما عاناه هذا الجيل من العذاب وكبت الحريات والعواطف والقيود حيث انطوى الأدباء على ذواتهم واتجهوا إلى دنيا الأحلام متراوحين بين اليأس والأمل يعيشون في غربة يحملون بالطفولة والطبيعة ينشدون الأناشيد المفعمة والحسرات والدموع والرغبات المكبوتة والمليئة بالشكوى والتراوح بين اليأس والأمل[[5]](#footnote-5)

وفي ظل الأجواء التي فوضتها الرومانسية بعد تلقيها من طرف الأدباء والنقاد العرب والالتفات إلى الدواخل الإنسانية كان من الطبيعي إن يزداد الاهتمام بالذات وتتضاعف الرغبة في فهم المنهج النفسي الذي يفي بهذا الغرض لذلك كان من الطبيعي أن يزدهر هذا المنهج وتطبيقاته التي تسبر أغوار النفس البشرية لفهمها ويجد النقاد الملجأ والجواب لكثير من تساؤلاتهم.

من خلال المسارات الفكرية لعلماء النفس التحليلي نجد هناك عناصر معقّدة ومتداخلة مع بعضها بعضا. بعضها يفيدنا في دراسة النص الأدبي وتحليله وبعضها يفيد علم النفس المرضي/الإكليكي ولا يفيدنا كثيرا في الأدب.

المحاضرة 8:

مكانة المنهج النفسي لدى النقاد العرب:

فرض النقد الانطباعي أو الذاتي نفسه طويلا على الفكرة النقدية العربية. خاصة قبل ظهور حركات الانفتاح الفني الحديثة، على مستوى الأدب والنقد معا ولم يجد كثير من النقاد ملاذهم إلا ما تعاهدوه من لدن الموروث النقدي العربي. بالرغم من عدم امتلاك هذا النقد منهجا واضحا أو نظرة شاملة تستوعب جميع متطلبات العصر والتفكير الحديث وذلك بحكم غياب المنهج والأفق النقدي الواسع والنظرة التي تستوعب كثيرا من متطلبات العصر والتقدّم الحضاري وما يشكّله من تنوّع في فنون الأدب ونقده.

ظهرت في النقد العربي مناهج تحمّل مميزات وخصائص العلوم الإنسانية في المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي...ويعدّ هذا الأخير من جملة ما تمّ تداوله في النقد العربي الحديث، تأسسّ المنهج النفسي كواحد من المناهج النقدية الأدبية على أعتاب دراسات علم النّفس الذي تأسّس على يد وليام غونت بعد أن ظلت الدراسات النفسية إلى وقت قريب رهينة النظرة الفلسفية التي سادت مباحثه وطوقتها طويلا: لقد كان المعتقد في ذلك الحين أنّ العقل والشعور لا يمكن قياسهما، أما منذ هذا التاريخ القريب فقد حق لعلم النفس أن يتّخذ مكانا إلى جانب العلوم الطبيعية التجريبية، وأن يصبح عملا مستقلا عن الفلسفة العامة من حيث منهجه في البحث على الأقل[[6]](#footnote-6)

وبهذا أمكن لعلم النفس أن يصطنع له معامل تسعى إلى تكييف مناهجه ومباحثه مع طبيعة مادته المعروضة للدراسة. وإخضاعها للتجربة والقياس الكمي شأنها شأن علوم الطبيعة الأخرى، وخلاصة ما ذهب إليه غونت أنه كان يرى مادة علم النفس هي حياة الفرد الشعورية وأن الإحساسات هي نتائج الحس، وأنها تنقل التنبيهات من خلال السيال العصبي إلى اللحاء وهي العناصر التي تضع الخبرات[[7]](#footnote-7)

أما عن ظهور الأبحاث النفسية في النقد الأدبي، وانطلاق من نتائج الدراسات التي قدّمها سيغموند فرويد ضمن مجموعة من الأعمال النقدية التطبيقية، بعد تأسيسه لإحدى أهم فروع لعلم النفس في العصر الحديث ونعني به "التحليل النفسي" وفيه عبر من مسار المعطيات النفسية انطلاقا من تأكيده على فكرة اللاشعور. أما في النقد فكان في كتابه في تفسير أحلام أول رائد نقدي يعنى بالبعد السيكولوجي في الفن والأدب بالإضافة إلى كثير من الإصدارات النقدية الأخرى التي عملت على تطوير مباحثه تماشيا مع النظريات المستجدة في الحقل السيكولوجي نفسه .

محاضرة9/

نموذج تطبيقي:

المازني والاتجاه النفسي

كان المازني إلى جانب العقاد وشكري من رواد التجديد في الأدب والشعر بصفة خاصة، يعتبر بلا مبالغة فنان ثلاثي مدرسة الديوان، إذا كان أكثر الثلاثة انفعالا وإسرافا وتقلبا بين عواطفه الطافحة، قبل أن يتبنى فلسفة السخرية من الحياة وعبثتيها ويصحّ القول أن حياة المازني انقسمت إلى قسمين لا يجمع بينهما جامع بالملاحظة السطحية العابرة وتجدر إلى أن المازني كان واعيا بما حدث من قلب حياته.

قدّم المازني دراسة وفق المنهج النفسي ومبادئه وآلياته للشاعر ابن الرومي حيث يعطي لمحة عامة عن انتماء ابن الرومي حيث يقول: لم يكن ابن الرومي عربيا ولا شبيها بالعرب وإن كانت العربية لغته التي لم يكن يعرف أو التي لا نعلم أنه كان يعرف سواها ولقد ولد وترعرع مع العباسيين ولكنه رغم ذلك لم يكن منهم لا في طبيعته ولا في فنّه ولا في أساليب تفكيره، بل ولا في عاداته وأخلاقه[[8]](#footnote-8) ويبدو أنه كان منجذبا ومتأثرا بأصله الرومي الذي جعله يتسم بطباع غير طباع المجتمع الذي عاش فيه، مع الإشارة إلى أن المازني رأى أن هذا يمكن أن يكون مصطنعا بدافع التعصب العرقي ويمثل لذلك بأبيات يعبر فيها ابن الرومي عن أصله وفخره

فادع القوافي ونص العملات له تحبك كل شرود وهي مذعان

إن لم أزر ملكا أشجى الخطوب به فلم يلدني أبو الأملاك يونان

بل إن تعدت فلم أحسن سياستها فلم يلدني أبو السواس ساسان

عقد المازني مقارنة بين ابن الرومي وغيره من الشعراء من غير ذوي الأصل العربي مثل بشار بن أبي حفصة، وأبي نواس وابن المقفع وابن العميد والخوارزمي وأبي الفرج الأصفهاني وغيرهم، مما لا يمكن حضرهم في البيئة العربية لدرجة أننا ننسى كثيرا أنهم ليسوا بعرب أصلا، وفي هذا السياق يصر المازني على ضرورة الاهتمام بالأجناس البشرية والأصول العرقية لفهم واستيعاب التراث الفني والأدبي وترجمته ترجمة صحيحة.

ويستدل المازني على التميز والتفرد الذي يصل درجة العبقرية لدى ابن الرومي من خلال الموضوعات التي طرقها في شعره، وقد اعتبر المازني أن ابن الرومي كان يعاني خللا عصبيا وعمل على تقديم أدلّة كثيرة ليثبت رأيه ومن ذلك الحديث عن فقدان الشاعر لثلاثة من أبنائه وشكل هذا لديه صدمة كبيرة انعكست في كثير من أشعاره، وهنالك عامل آخر أسهم في تردّي حالته النفسية ما عاناه في مجتمعه من ذل واحتقار ومهانة الأمر الذي جعل منه إنسانا ساخطا ناقما ، لم تكن دراسة المازني لابن الرومي محاولته الوحيدة في تبني المنهج النفسي في النصوص الأدبية ففي روايته " إبراهيم الكاتب" كتب في مقدمة الرواية : لست أحتاج أن أقول أني لست إبراهيم الذي تصفه الرواية وأن هذا المخلوق ما كان قط ولا فتح عينيه على الحياة إلا في روايتي" ثم أني لست أرضى أن أكونه فما تعجبني سيرته ولا مزاجه[[9]](#footnote-9) ولكن المتتبع للرواية أولا ولعدة دراسات تناولتها يتبين أن ما ادعاه في البداية دحضته الرواية شهادات الكثير من مقربيه لاحقا إذ تبيّن أن الرواية لم تكن إلا سيرة المازني نفسه.

1. عبد العزيز جسوس: خطاب علم النفس في النقد الأدبي العربي. المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط1، 2006، ص50 [↑](#footnote-ref-1)
2. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، جامعة قسنطينة، دط، 2002، ص79-80 [↑](#footnote-ref-2)
3. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص950. [↑](#footnote-ref-3)
4. جيهان صفوت رؤوف: شلي في الأدب العربي في مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، 1982، ص24. [↑](#footnote-ref-4)
5. نغم عاصم عثمان: الرومانسية بحث في المصطلح تاريخه ومفاهيمه ومناهجه الفكرية، ص103. [↑](#footnote-ref-5)
6. أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط1968، ص27. [↑](#footnote-ref-6)
7. نبيل موسى موسوعة مشاهير أعلام النفس وأعلام التربية والطب النفسي والتحليل النفسي، بيروت دار الصداقة العربية، ط1، 2002، ص294. [↑](#footnote-ref-7)
8. إبراهيم عبد القادر، حصاد الهشيم، دار المعارف الهيئة المصرية للكاتب، دت، ص286. [↑](#footnote-ref-8)
9. جورج طرابيشي: عقدة أوديب في الرواية العربية، دار الطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1981، ص09. [↑](#footnote-ref-9)